4 -التحليل على المستوى الدلالي

1- علم الدلالة

1- 1- تعريف علم الدلالة:

1-1-1-الدلالة لغة:

الدلالة لغةً: للفعل (دلَّ) الثلاثي صور صرفية متعددة بفتح حرف (الدال). دلَّهُ على الطريقِ يَدُلُّهُ بالضم (دَلالة) بفتح الدال وكسرها و(دُلولةً) بالضم, والفتح أعلى[1] وتدلَّلَت المرأةُ على زوجِها ,ودَلَّت تَدِلُّ، وهي حسنة الدلِّ والدَّلال وذلك أن تريه جرأة عليه في تغنُّج وتشكُّل[2]

ودلَّلَت بهذا الطريق عرفته، ودلَلتُ به أَدُلُّ دلالةً. وقال ابن دُريد الدَّلالة, بالفتح, حرفة الدَّلاّل وهو الذي يجمع بين البَيعَين[3]. والدل: حالة السكينة وحسن السيرة وهذا قريب المعنى من الهَدي, الدَّلال: الوقار. والدليل مفرد الجمع منه أَدِلَّة و أدلاء, والدلالة جمع دلائل: ما يقوم به الإرشاد أو البرهان أو المُرشِد[4]

ودَلَّ دَلَلاً الرجل: تغنَّجَ وتلوّى, وأَدَلَّ إدلالاً عليه اجترأ عليه. والدالَّة مؤنث الدّال: ما تَدُلُّ بِهِ على صديقِكَ[5]. ونظرة سريعة في المعجمات اللغوية لمعاني هذه المفردة تجدها قد قصرت على الدلالة المادية, المتصلة بمفهوم الدليل..

1-1-2- الدلالة إصطلاحا:

يقصد بها الكيفية التي يتم فيها استعمال المفردات ضمن سياق لغوي معين,وبيان علاقاتها بالعملية الذهنية[6]

أما علم الدلالة فهو العلم الذي يدرس ظاهرة معينة والوقوف على ماهيتها وجزئياتها وما يتعلق بها دراسة موضوعية[7]

والدلالة -بهذا التعريف- قد يختلف تعريفها بين الباحثين ولنأخذ مثالا لتعريفها من كتاب التعريفات للجرجاني السيد الشريف حيث قال: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والأول هو الدال والثاني هو المدلول. وهي إما دلالة مطابقة أو دلالة تضمن أو دلالة التزام وكل

ذلك يدخل في الدلالة الوضعية لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فانه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن وعلى قابل العلم بالالتزام [8] وفي القاموس المحيط دلّه عليه دلالة (ويثلث) ودلولة فاندل: سدده إليه. [9]

1-2- موضوعه:

للحديث عن علم الدلالة(sémantique) وموضوعه أو لتوضيح ذلك، لابد من تحديد علاقة علم الدلالة بعلم اللغة وذلك باعتبارين الأول: أن يكون علم الدلالة فرعا من فروع علم اللغة (اللسانيات)، والثاني أن يكون علم اللغة (الدلالة اللغوية على الخصوص) فرعا من علم الدلالة أو علم العلامات الذي يطلق عليه مصطلح (العلامية) أيضا.

فموضوع العلامية (العلامات والإشارات والأدلة بمفهومها الواسع لغوية كانت أم غير لغوية وهذا ما ذهب اليه اللساني السويسري (واذا بدأنا بالاعتبار الأول (كون علم الدلالة فرعا من اللسانيات(لابد من العودة إلى مستويات البنية اللغوية المعروفة فإننا نلاحظ أن المستوى الدلالي في هذا البناء هو مستوى يتقاطع مع جميع المستويات الأخرى(الصوتي، الصرفي، التركيبي وحتى النصي)، لأن الدلالة حاضرة وناتجة عن تفاعل كل هذه المستويات، حتى في المستوى الصوتي الذي يقال أنه مستوى الوحدات غير الدالة.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم هو تقسيم نظري افتراضي، فاللغة تعمل لأداء مهمتها وفق نظام اللغة الذي يندمج فيه كل هذه الأنظمة. فعلى مستوى العمل والأداء ليس هناك مستويات منفصلة، وإنما التقسيم إلى هذه المستويات لضرورة البحث والتحليل والدراسة اللغوية. فالمتكلم الذي يتكلم وفق نظام اللغة (اللسان) لا علاقة له بهذه المستويات التي لها أنظمة خاصة بها.

على أية حال يبدو لنا في هذا التحليل أن علم الدلالة الذي يبحث في أحد تلك المستويات هو فرع من اللسانيات، أما بالاعتبار الثاني فيظهر لنا في المستوى الأدائي أن علم اللغة (الدلالة اللغوية) هو أهم عناصر علم العلامات، إلى جانب عناصر دلالية أخرى غير لغوية، وأن العناصر اللغوية هي المعوّل عليها في الاتصال الذي يقوم أساسا على فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى. بل أن اللغة حاضرة دائما في كل فروع الدلالة لغوية كانت أم غير لغوية.

وإذا كنا سنولي اهتمامنا للدلالة اللغوية (الدليل اللغوي) دون التفصيل في الأدلة غير اللغوية (عدا إشارات فقط، وبما أننا نستعمل مصطلحات مثل (لغة، لسان، كلام) فلابد من محاولة تحديد مفهوم

هذه المصطلحات، وإن كانت متداخلة أحيانا في أذهان الناس بل وفي أذهان الطلبة والباحثين في علوم اللغة.

وقد لا نحتاج هنا إلى التفاصيل التي تدرس في علم اللغة أو اللسانيات ولكن يمكن أن نوضح هذه المفاهيم بما يلي:

- من الشائع بين اللسانيين أن مادة علمهم ليست الكلام ولا اللسان وإنما هي اللغة[10]

ويلاحظ هنا أن هناك ثلاثة مصطلحات لثلاثة مفاهيم، وكلها تمثل ما يسمى بالظاهرة اللغوية التي ترتقي من (الكلام) وهو كلام الأفراد كما نسمعه أو نحادثهم فيه وهذه هي المرتبة الفردية وهذا الذي يمكن أن نسجله على آلة التسجيل، ثم تأتي مرتبة (اللسان) وتتطابق مع منزلة الوجود النوعي وهو الاشتراك في معرفة ما يتم التحاور به ضمن كل مجموعة لغوية (اللسان العربي أو الانجليزي أو الصيني). أما مرتبة اللغة فهي تتطابق مع جملة من القوانين التي إن أطلقت صدقت على كل لسان من الألسنة البشرية[11]

وهنا تبدو اللغة أعم من اللسان، وتدرس من خلال ما يسمى باللسانيات العامة مقابل اللسانيات الخاصة التي تدرس نظام كل لسان بشري على حدة. وفي سياق أخر يذكر أن اللسان أعم من اللغة مع إمكان استعمال كل مصطلح لمفهوم الآخر. والحقيقة أن الظاهرة اللغوية تستوعب المفاهيم الثلاثة السابقة (الكلام، اللسان، اللغة) فاللغة (لغة الناس/ البشر) واللسان (لسان الجماعة اللغوية) والكلام (كلام الأفراد.(اللغة مفهوم كلي واللسان مفهوم نمطي والكلام مفهوم انجازي[12]

بعد هذا يظهر لنا أن موضوع علم الدلالة هو الأدلة بشكل عام والدليل اللغوي بشكل خاص، وعلاقة الدوال بمدلولاتها ويتفق عدد كبير من الباحثين على أن السيمياء كنوع من اللسانيات كان من أثر اللغوي الفرنسي بريال (1883)، باعتبار أن هذا العلم يدرس الدلالات والقوانين التي تتحكم في تغير المعاني أو أن الموضوع هو المعنى.[13]

1-3- غاية هذا العلم

فهي خاصة وعامة، فالغاية الخاصة هي أن علم الدلالة – مثل أي علم آخر- يسعى إلى الاستقلالية و امتلاك الأدوات و المناهج الرياضية، وهنا ينبغي الإشارة إلى الاهتمام بهذا العلم حيث ظهر

في عام 1923 كتاب عنوانه (the meaning of meaning) لمؤلفيهRichards و.Ogden

وأما الغاية العامة فهدف علم الدلالة كغيره من العلوم الإنسانية – و بالاستعانة بها وبالتعاون معها – هو الإسهام في ترقية الحياة الإنسانية في جميع المجالات، وتسهيل عملية الاتصال والتعاون والتفاهم المشترك وضبط المصطلحات والمفاهيم في جميع العلوم لاسيما في العلوم الحديثة ووسائل الاتصال وخاصة في محيط العولمة والتقارب، إن لم نقل الاندماج الفكري على الأقل بين الأمم والشعوب.

2- أنواع الدلالات: (من حيث علاقة الدلالة بالمستويات الاخرى)

2-1 الدلالة الصوتية[14]:

وهي تعني طريقة نطق الكلمة؛ حيث يُمكن للمعنى أن يتغيّر باختلاف نبرة صوت الكلمة. مثل: أنا لص؟ أنا لص (اعتراف السارق أمام القاضي لثبوت الأدلة، (الفرق بين دلالة: أهلا وسهلا للترحيب بالضيوف وللوم الاب لابنه على التأخر لدخول البيت) فهنا يشكل النبر شكلاً من أشكال التأثير الصوتي في الدلالة، كأن ينبر المتحدث الكلمة الأهم في الجملة وغير ذلك. كما يعد التنغيم من التأثيرات الصوتية المهمة التي قد تغير دلالة التركيب اللغوي بشكل كامل، ويضرب الدكتور إبراهيم أنيس لذلك مثلاً في التركيب (لا يا شيخ)[15] الذي قد يحمل عدة دلالات مختلفة: الاستفهام، التهكم والسخرية، الدهشة والاستغراب.

إن الأصوات [وأشكالها الحروف] وحدات غير دالة، وهي القطع الصوتية الصغرى التي تتشكل منها بجمع بعضها إلى بعض الوحدات الدالة (الكلمات). هذه القطع الصوتية الصغيرة التي تظهر في التقطيع الثاني عند البنويين الوظيفيين (مارتينيه). وهنا يجب أن نشير إلى أن هناك ما يسمى بالوحدات الدلالية التي هي أقل من الكلمة وتتمثل في (المورفيم المتصل) مثل السوابق واللواحق والضمائر المتصلة بل أن هناكوحدة دلالية أقل من المورفيم، مثلا دلالة الحركات على تاء الفاعل (كتبتم، كتبت،كتبتما..)[16]

2-2- الدلالة الصرفية[17]:

واطلق علماء الصرف على الدلالة الصرفية الدلالة الصناعية ومنهم ابن جني، فهي نابعة من علم الصرف من خلال اختلاف أبنية الكلمات وصيغها الداخلية. مثل:(اختلاف دلالة قاتل بمعنى القتل مرة واحدة، وقتّال لكثير القتل) ومعنى الصرف هنا صرف اللفظ من معنى إلى معنى آخر كقولنا مثلاً: رجع على وزن فعل،

فالفعل تتغير دلالته لو كان على وزن افعل اي ارجع، وهذه الصيغة انتقلت من اللزوم الى التعدية، او قولنا واهب على وزن فاعل، فاذا بدلناها على وزن فعال، تغيرت الدلالة الى المبالغة.

وقد تدل صيغة واحدة على عدة معان يحددها السياق، مثل صيغة اسم الفاعل والمفعول. (مختار)، بضم الميم، المتحولة من البنيتين العميقتين: مختير ومختير، بفتح الياء في الأولى وكسرها في الثانية، ومن ذلك الصيغة التي تدل على اسم الزمان والمكان واسم المفعول والمصدر الميمي (مسعى) على وزن مفعل، ومن ذلك أيضا: الفعل ضاع يضوع، التي تدل على الظهور والاختفاء وندرك ذلك بالرجوع إلى المضارع: ضاع يضيع وضاع يضوع، وكذلك رام – يروم-ويريم[18]

2-3- الدلالة التركيبية: [19]

ونعني بها طريقة ترتيب الكلمات داخل الجملة؛ فالجملة في اللغة العربية لها ترتيب محدد لا يجوز أن يختل وإلا اختل معناها. مثال الترتيب بين الفعل والفاعل لاستقامة المعنى كما في الحديث المشهور في الدعاء لصاحب الضيافة (أكل طعامَكم الابرارُ وصلت عليكم الملائكةُ

2-4- الدلالة المعجمية أو الاجتماعية [20]:

ونعني بها ما تحمله الكلمة من معنى يصل إلى الذهن عند سماع هذه الكلمة؛ ولكل كلمة معنى مُعيّن في المعجم على الرغم من أن بعض الكلمات يمكن أن تحمل عدة معاني، بحسب سياقها الذي وردت فيه، مثل كلمة يد فقد ورد معناها في لسان العرب بمعنى الكف، واليد في المعجم الوسيط من اعضاء الجسد وهي من المنكب الى اطراف الاصابع، فالمعنى الذي ذكرناه هو المعنى المعجمي، وهناك معنى اخر له دلالة اخرى عند اصحاب السياق، وهذا ما يتفق مع الدلالة الاجتماعية، ففي السياق نقول مثلاً زيد طويل اليد ونعني سمحاً، ولو قلت سقط في يده فالمعنى ندم.